

لامية العرب للشنفرى

أقيموا بني أمي ، صُدُورَ مَطِيئِكُمْ
فإني ، إلى قومٍ سِواكم لأميلُ
فقد حُمَّتِ الحاجثُ ، والليلُ مَقْمَرُ
وَشُدَّتْ ، لِطِيَابٍ ، مطايا وأرْحُلُ
وفي الأرضِ مَنَائٍ ، للكريمِ ، عن الأذى
وفيها ، لمن خاف القلي ، مُتَعَزِّلُ
لَعَمْرُكَ ، ما بالأرضِ ضيقٌ على أمرئِ
سَرَى راعباً أو راهباً ، وهو يعقلُ
ولي ، دونكم ، أهلونَ : سِيْدُ عَمَلَسُ
وأرْقَطُ زُهْلُولٍ وَعَرَفَاءُ أَجِيلُ
هم الأهلُ . لا مستودعُ السرِّ ذائعُ
لديهم ، ولا الجاني بما جَرَّ ، يُحْدَلُ
وكلُّ أبيٍّ ، باسلُ . غير أنني
إذا عرضت أولى الطرائدِ أبسلُ
وإن مُدَّتْ الأيدي إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم ، إذ أَجَشَّعُ القومِ أعجلُ
وماذاك إلا بَسْطَةٌ عن تفضيلِ
عَلَيْهِمْ ، وكنثُ الأفضَلِ المتفصِّلُ
وإني كفاني فَقْدُ من ليس جازياً
يُحْسِنِي ، ولا في قربه مُتَعَلِّلُ

ثلاثة أصحابٍ : فؤادٌ مشيعٌ ،

وأبيضٌ إصليثٌ ، وصفراءٌ عيطلٌ

هتوفٌ ، من المُلسِ المُثونِ ، يزينها

رصائعٌ قد نيطت إليها ، ومحمَلٌ

إذا زلَّ عنها السهمُ ، حَتَّتْ كأنها

مُرَّرَاهُ ، ثكلى ، تِرِنٌ وتُعولٌ

ولستُ بمهيافٍ ، يُعَشِّى سَوامهُ

مُجَدَّعَةٌ سُقبانها ، وهي بُهَلٌ

ولا جباٌ أكهى مُرِبِّ بعرسِهِ

يُطالِعها في شأنه كيف يفعلُ

ولا حَرِقِ هَيْقِ ، كأن فُؤادَهُ

يَظَلُّ به الكاءُ يعلو وَيَسْفُلُ

ولا خالفِ دارِيَّةٍ ، مُتَعَرِّلٌ ،

يروحُ ويغدو ، داهناً ، يتكحلُ

ولستُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ حَيْرِهِ

ألفٌ ، إذا ما رُعتَه اهتاجٌ ، أعزلٌ

ولستُ بمحيارِ الظلامِ ، إذا انتحت

هدى الهوجلِ العسيفِ يهماءُ هوجلٌ

إذا الأمعزُ الصَّوَّانُ لاقى مناسمي

تطاير منه قاذخٌ ومُقَلَّلٌ

أديمٌ مطالِ الجوعِ حتى أميته

وأضربُ عنه الذِّكْرَ صفحاً ، فأذهلُ
 وأستفُّ ثُرب الأرضِ كي لا يرى له
 عَلَيَّ ، من الطَّوْلِ ، امرؤُ مُتَطَوِّلُ
 ولولا اجتناب الذَّامِ ، لم يُلَفَّ مَشْرَبُ
 يُعَاشُ به ، إلا لَدَيَّ ، ومأكلُ
 ولكنَّ نفساً مُرَّةً لا تقيمُ بي
 على الضيمِ ، إلا ريثما أتحوَّلُ
 وأطوي على الحُمصِ الحوايا ، كما انطوتُ
 حُيُوطَةُ ماريِّ تُغارُ وتفتلُ
 وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا
 أزلُّ تهاداه التَّنَائِفُ ، أطحلُ
 غدا طأوياً ، يعارضُ الرِّيحَ ، هافياً
 يَحُوتُ بأذنانِ الشُّعَابِ ، ويعسِلُ
 فلَمَّا لواهُ القُوْتُ من حيث أمُّهُ
 دعا ؛ فأجابته نظائرُ نَحْلُ
 مُهْلَهْلَةٌ ، شيبُ الوجوهِ ، كأنها
 قِدَاخُ بكفيِّ ياسيرِ ، تتَقَلَّلُ
 أو الحَشْرَمُ المبعوثُ حثتَ دَبْرَهُ
 مَحَابِيضُ أرداهنَّ سَامٍ مُعَسَّلُ
 مُهَرَّتَةٌ ، فُوهُ ، كأن سُدُوقها
 سُفُوقُ العِصِيِّ ، كالحاتِّ وَبَسَلُ

فَصَحَّ ، وَصَجَّتْ ، بِالْبَرَّاحِ ، كَأَنَّهُ
 وَإِيَاهُ ، نَوْحٌ فَوْقَ عَلِيَاءَ ، تُكَلُّ
 وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ ، وَاتَسَى وَاتَّسَتْ بِهِ
 مَرَامِيلُ عَرَّاهَا ، وَعَزَّتْهُ مُزْمِلُ
 شَكَا وَشَكَّتْ ، ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ
 وَلَلصَّبْرُ ، إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوكُ أَجْمَلُ
 وَفَاءٌ وَفَاءَتْ بِأَدْرَاتٍ ، وَكَلَّهَا
 عَلَى تَكْظِ مِمَّا يُكَاتِمُ ، مُجْمِلُ
 وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكُدْرُ ؛ بَعْدَمَا
 سَرَتْ قَرِيبًا ، أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلَّصُ
 هَمَمْتُ وَهَمَّمْتُ ، وَابْتَدَرْنَا ، وَأَسَدَلْتُ
 وَشَمَّرَ مِنِّي قَارِطُ مُتَمَهَّلُ
 قَوْلَيْتُ عَنْهَا ، وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِه
 يُبَاشِرُهُ مِنْهَا دُقُونٌ وَخَوْصَلُ
 كَأَنَّ وَغَايَا ، حَجْرَتِيهِ وَحَوْلَهَا
 ضَامِيمٌ مِنْ سَفْرِ الْقِبَائِلِ ، تُزَلُّ
 تَوَافِينَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ ، فَصَمَّهَا
 كَمَا صَمَّ أَدْوَادُ الْأَصَارِيمِ مَنَهَلُ
 فَعَبَّتْ غَشَاشًا ، ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
 مَعَ الصُّبْحِ ، رَكْبٌ ، مِنْ أَحَاطَةِ مُجْفَلُ
 وَأَلْفُ وَجْهِ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا

بأهدأ تُنبيه سَناسِنُ قُحَلُ
 وأعدلُ مَنحوضاً كأن فُضُوصَه
 كِعَابُ دحاهَا لَاعِبُ ، فهي مُثَلُّ
 فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطلِ
 لما اغتبطت بالشنفرى قبلُ ، أطولُ
 طَرِيدُ جِنَايَاتِ تياسِرَنَ لَحْمَهُ ،
 عَقِيرَتُهُ فِي أَيِّهَا حُمَّ أَوْلُ
 تنامُ إذا ما نام ، يقظى عِيُونُهَا
 جِثَاثاً إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَّعَلُّ
 وإلفُ همومٍ ما تزال تَعُودُه
 عِياداً ، كحَمَى الرَّبِيعِ ، أوهي أَثْقَلُ
 إذا وردتْ أَصْدَرْتُهَا ، ثُمَّ إِنِّهَا
 تَثُوبُ ، فَتَأْتِي مِن ثُحَيْثُ وَمِن عَلُ
 فإما ترينى كَابِنَةَ الرَّمْلِ ، ضاحياً
 على رِقَةٍ ، أَحْفَى ، ولا أَتَعَلُّ
 فأني لمولى الصبر ، أَجْتَابُ بَرَّه
 على مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ ، والحزمُ أَنَعَلُ
 وَأَعْدَمُ أَحْيَاناً ، وَأُغْنَى ، وَإِنَّمَا
 يِنالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ
 فلا جَرَعُ مِنْ خِلَةٍ مُتَكَشِّفُ
 ولا مَرِيحُ تَحْتَ الْغِنَى أَتَخِيلُ

ولا تزدهي الأجهال جلمي ، ولا أرى
سؤولاً بأعقاب الأقاويل أنمِلُ
وليلة نحسٍ ، يصطلي القوس ربها
وأقطعهُ اللاتي بها يتنبلُ
دعستُ على غطشٍ وبغشٍ ، وصحبتني
سُعاژ ، وإرزيژ ، ووَجْرُ ، وأفكُلُ
فأيمتُ نسواناً ، وأيمتُ وِلْدَةً
وعُدْتُ كما أبدأتُ ، والليل أيلُ
وأصبح ، عني ، بالعُميصاءِ ، جالساً
فريقان : مسؤولُ ، وآخر يسألُ
فقالوا : لقد هَرَّتْ بِلِيلِ كِلَابُنَا
فقلنا : أذئبُ عسَّ ؟ أم عسَّ فُرْعُلُ
فلم تَكُ إلا نبأهُ ، ثم هَوِّمَتْ
فقلنا قطاهُ ريعَ ، أم ريعَ أجْدَلُ
فإن يَكُ من جنِّ ، لأبرحَ طارقاً
وإن يَكُ إنساً ، مآكها الإنسُ تَفَعْلُ
ويومٍ من الشُّعري ، يذوبُ لُعبهُ
أفاعيه ، في رمضائه ، تتملَّمُ
نصبتُ له وجهي ، ولاكنَّ دُونَهُ
ولا ستر إلا الأتحميُّ المرْعَبَلُ
وضافي ، إذا هبتُ له الريحُ ، طيَّرتُ

لبائدَ عن أعطافه ما ترَجَّلُ
بعيدٍ بمسِّ الدَّهْنِ والقَلَى عُهُدُهُ
له عَبَسُ ، عافٍ من الغسلِ مُخَوِّلُ
وَحَرَقِ كظهرِ الترسِ ، قَفْرٍ قطعتهُ
يَعَامِلَتَيْنِ ، ظهرُهُ ليس يعملُ
والحَقُّ أولاهُ بأخراه ، مُوفياً
على قُنَّةٍ ، أفعي مِراراً وأمئُّلُ
تَرُودُ الأراوي الصَّحْمُ حولي ، كأنَّها
عَذارى عليهنَّ الملاءُ المُدَيَّلُ
ويركُذَنَ بالآصالِ حولي ، كأنني
من العُصَمِ ، أدفى ينتحي الكيخَ أعقلُ